اللهجات العربية وأثرها الدلالي (اللغوي)
ودورها النحوي والصرفي في ثراء اللغة

د. اعتماد محمد أحمد العوض [1]
د. عقيل آدم عبد الله شريف[2]

الملخص

إنّ اللغة العربية متجددة ونامية على مر العصور في جميع مستوياتها الصوتي والدلالي (اللغوي) ثم النحوي، والصرفي، وهناك عدة عوامل أدت إلى هذا النماء ولعل من بين هذه العوامل اللهجات العربية سيما لهجات القبائل التي عاصرت الإسلام ونزل القرآن بلغاتها، الأمر الذي كان له كبير الأثر بأن تَثْري هذه اللهجات وتخدم اللغة الفصيحة وتمدها بمزيد من المفردات والمعاني الجديدة؛ لذا هدفت هذه الدراسة إلى التركيز على أنّ للهجات العربية أثراً مباشراً وغير مباشر في غِنى اللغة وثرائها، ويظهر ذلك من خلال علاقة اللهجات بالقراءات القرآنية. ومن هذه الأهداف أيضاً التعمق في فهم لهجات القبائل العربية التي قُرئ القرآن بلسانها لمعرفة الفرق ما بين اللغة واللهجة والعلاقة بينهما، ومعرفة دور اللهجات العربية في إثْراءِ اللغة ونمائها على المستوى الدلالي والنحوي والصرفي، كما هدفت أيضاً أنّ اللهجات العربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتنوع البيئات الجغرافية، والاجتماعية والثقافية. اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: إنّ اللهجات العربية عبارة عن تغير صوتي، أو صرفي، أو نحوي، أو دلالي يطرأ على اللغة. ومن نتائج الدراسة أنّ هناك لهجات قديمة اندثرت ولم نر لها ملامح واضحة في كتب العرب القديمة لأنّها كانت محلية ومحل للسخرية والتهكم. أما اللهجات التي أسهمت بشكل واضح في ثراء اللغة وغناها فهي لهجات القبائل التي قُرِئَ القرآن بلغاتها أي بلسانها، وهي سبع لغات حسب ترتيبها في الفصاحة. وهناك لهجات حديثة محلية كثيرة مواكبة لم تتناولها هذه الدراسة ظناً منا بأنّها لم تخدم اللغة العربية الفصيحة كثيراً. ومن النتائج أيضاً أنّ هناك ثمة فرق واضح بين القراءات القرآنية وعلم القراءات. توصي الدراسة بزيادة الأبحاث في علوم اللغة العربية بمختلف فروعها لكشف المزيد من أسرارها.

[1] أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية – كلية التربية - حنتوب –جامعة الجزيرة

مقدمة الدراسة:

مما لا شك فيه أنّ اللغة العربية متجددة ونامية وغنية بمفرداتها على مر العصور، وهناك عدة عوامل أسهمت في إثرائها، ولعل من بين هذه العوامل: اللهجات العربية، ومن هذه العوامل أيضاً الاشتقاق اللغوي ،والمشترك اللفظي، والتضاد ،والترادف ، والنحت، وهناك عامل مهم كان له كبير الأثر في ثراء هذه اللغة وهو لهجات القبائل العربية سيما القبائل التي شهدت أو آثرت الإسلام ونزل القرآن بلغاتها (القراءات السبع)، تشكل اللهجات العربية المادة الأولى للنصوص الأدبية في التراث العربي قديماً قبل أن يكتمل البناء اللغوي وتصبح اللغة الفصحى هي المعيار المتفق عليه في قياس اللغة عقب عصور التدوين، مع أنّ اللغة الفصحى نفسها التي أصبحت محل إجماع العرب ما هي إلا مختارات من اللهجات العربية، وتتفاوت فيها أنصبة القبائل العربية كثرة وقلة، والشيء الذي يجعل اللهجات العربية مرحلة يصعب تجاوزها دون الوقوف عندها في دراسة اللغة في مستوياتها المختلفة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) هو أنّ القرآن الكريم الذي يمثل أقدم أثر أدبي موثوق به وصل إلينا قد تضمن الكثير من اللهجات العربية، وقد أورد ابن فارس ما روي عن ابن عباس أنّه قال عن رسول صلي الله عليه وسلم: (نزل القرآن على سبعةِ أحرف، أو قال سبع لغات)[1]. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: (وقد جاءت لغات لأهل اليمن في القرآن معروفة)[2]. ولفظ اللغات عندهم يقصد به اللهجات. بل كانوا يستعملون اللغة بمعنى أضيق من اللهجة لتشمل الشواذ والنوادر. ووجوه الاختلاف في لفظ الكلمة أو معناها أو بنائها الصرفي أو النحوي؛ ذلك لأنّ كل وجه من الأوجه إنّما من لهجة تكونت أو قد تتكون في الغالب.

أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة إلى التركيز على أنّ اللهجات العربية لها أثرها المباشر، وكذلك لها آثار غير مباشرة في غِنى اللغة وثرائها، ويظهر ذلك خلال علاقة اللهجات بالقراءات القرآنية .
- ترتبط اللهجات العربية ارتباطاً وثيقاً بتنوع البيئات الجغرافية والاجتماعية والثقافية.

---

[1] ابن فارس: أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: الطبعة الأولى 1418هـ-1997م الناشر: محمد علي بيضون،(ج1ص 32)

[2] المصدر السابق والصفحة.

ومن هذه الأهداف أيضاً التعمق في فهم لهجات القبائل العربية التي قرئ القرآن بلسانها، ومعرفة الفرق بين اللغة واللهجة والعلاقة بينهما، ومعرفة دور اللهجات العربية في إثراء اللغة ونمائها على المستوى الدلالي والنحوي والصرفي، اتَّبعتْ هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

اشتملت الدراسة على عدة محاور وهي: **مفهوما اللغة واللهجة، عوامل نشأة اللهجات وأسباب حدوثها، العلاقة بين اللغة واللهجة، دور اللهجات العربية في زيادة الثروة اللغوية، علاقة القراءة باللهجة، الدور النحوي والصرفي في زيادة الثروة اللغوية، ثم الخاتمة والتوصيات.**

مفهوما اللغة واللهجة:

أولاً: اللغة وعلم اللغة:

معنى اللغة في المعاجم العربية:

اللغة ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها البشر، ومنذ أن التقى الإنسان بغيره وهو يحتاج إلى وسيلة التفاهم، ومن أرقى الوسائل التي وصل إليها الإنسان في تفاهمه مع أخيه الإنسان، اللغة الصوتية. وقد لوحظ أنّ كلمة اللغة، لم تعرف عند العرب قبل انتهاء القرن الثاني الهجري، وكان العالِم باللغة عندهم يطلق عليه اسم الراوية، ثم عُرف باسم اللغوي في القرن الرابع الهجري.[3] ك: ابن دريد[4]، والأزهري[5]. ولم تظهر كلمة اللغة في آداب العرب إلا في القرن الثامن الهجري. ولم ترِد كلمة لغة في القرآن الكريم[6]، وإنّما عُبِرَ فيه عن مفهومها بكلمة لسان في عدة مواقع، منها قوله تعالى: {وإنّه لتنزيل رب العالمين* نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المنذرين* بلسان عربي مبين}[7] وبناء على

[3] الحلبي: هو أبو الطيب عبد الواحد بن علي، المتوفى سنة 351هـ . من مصنفته: الإبدال، هدية العرافين، (ج1، 633)

الإبدال، لأبي يوسف يعقوب بن السكيت تقديم وتحقيق د. حسن محمد شرف، مراجعة الأستاذ علي الجدي ناصف. القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، 1978م

[4] الأزدي: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ،تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 19877

[5] الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد، من أكابر أئمة اللغة، من مصنفاته تهيب اللغة، مات بهراة سنة 370هـ ، (ص 323)

[6] الأزدي: هو أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد:، حداثة اللغة، من مصنفاته: جمهرة اللغة، مات ببغداد سنة 321هـ، (ص 256).

[7] سورة الشعراء، الآيات (192 ــ 195)

عدم ورود كلمة لغة في آداب العرب المتقدمين، وفي القرآن الكريم، استنتج بعض الباحثين المحدَثين أنّها دخيلة على العربية، وأنّها مُعرَبة عن كلمة (Logs) الإغريقية، التي تعني كلمة أو فكرة[8].

لكن اشتقاقها يشير إلى أنّها عربية الأصل؛ فهي أي اللغة عند بعض علماء اللغة، مأخوذ من (الغافلان)، بمعنى تكلم ونطق ، ففي لسان العرب لابن منظور: (هي فعلة من لغوتُ أي تكلمتُ) [9] وعند بعضهم مأخوذة من (لغى بالشيء يلغي لغاً)، أي لهج به وأولع به .

وفي المصباح المنير: لغى بالأمر يلغي من باب تعب: لهج به، ويقال: اشتقاق اللغة من ذلك وحذفت اللام وعوض عنها الهاء، وأصلها لغوة، مثال غرفة. (الفيومي)[10]

وأما تعريفها الاصطلاحي فقد اختلفت آراء العلماء في اللغة وفقاً للمناهج التي يدرسونها، ولكن تعريف ابن جني قد حظي بإعجاب أهل اللغة قديماً وحديثاً. ويقول ابن جني معرفاً اللغة: بأنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "ابن جني[11]، وقال ابن سيده[12] معلقاً على هذا التعريف بعد أن ذكره: وهذا أحد دائرة على محدود محيط به لا يلحقه خلل؛ إذ كل صوت يعبر به عن المعنى المقصود في نفس اللغة ، وكل لغة فهي صوت يعبر به عن المعنى المتصور في النفس . ابن سيده[13] .علق على ذلك الدكتور محمود حجازي بقوله: وهذا التعريف دقيق ، ويتفق في جوهره مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين، فهو يؤكد من جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية، ويبين أيضاً أنّ وظيفتها الاجتماعية هي التعبير ونقل الفكر في إطار البيئة اللغوية ، ويذكر كذلك أنّها تؤدي وظيفتها في مجتمعٍ بعينه، فلكل قوم لغتهم ولسانهم[14].

---

[8] محمد متقى يوشع رسالة ماجستير بعنوان: القبائل الحجازية والنجدية، ابريل 2017م في ورقة.

[9] ابن منظور: محمد بن مكرم، جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، مادة ل غ و، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

[10] الفيومي: أحمد بن محمد، المصباح المنير، ل غ و، تحقيق د. عبدا لعظيم الشناوي، دار المعارف مصر، جزءان بدون تاريخ.

[11] ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط 1،(ج1، ص 33)

[12] ابن سيده: هو أبو الحسن علي بن اسماعيل، الضرير الأندلسي اللغوي، المتوفى سنة 458 هـــ من مصنفاته المحكم والمخصص ، هدية العرافين، (ج 1، ص 691).

[13] الحجازي: محمود اللغة العربية عبر القرون، مطابع دار الكاتب العربي سنة 1968م، ص ع، في ورقة.

[14] المصدر السابق (ص40)

مفهوم اللهجة:

اللهجة لغة: وهي اللسان، أو طرفه، أي جرْس الكلام، أو اللغة أو اللسان[15]. ويقال: فلان فصيح اللهجة، واللهجة هي لغته التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها[16].

وفي الاصطلاح: (هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة) [17]. ويعرفها الدكتور أبو الفرج بأنّها: (العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة) [18] ويعرفها أنطوان بقوله (كامل التفاهم بالنطق؛ أي كل لغة، تتعرض لأن تنقسم المجموعة البشرية المتكلمة بها إلى جماعات جزئية، يشعر كل منها بأنّ له في استعمال هذه اللغة ذوقاً خاصاً متميزاً من الناحية الصوتية، ومن ناحية الصرف والتركيب والدلالة يعرف به، ويسهل من خلاله تمييزه ونسبته إلى جماعته الجزئية الخاصة به.

وهكذا تتعرض اللغة نفسها لتقسيمات فرعية تبعاً لتقسيم المتكلمين بها إلى جماعات صغيرة، مع دخول الزمن عاملاً أساسياً في هذا التطور، ويُعرف كل قسم فرعي في داخل اللغة الواحدة باسم اللهجة)[19].

عوامل نشأة اللهجات وأسباب حدوثها:

بعد أن تناولنا مفهومي اللغة واللهجة بمعنييهما اللغوي والاصطلاحي يجدر بنا أن نتحدث عن عوامل نشأة ما يسمى باللهجات وأسباب حدوثها أو تكوينها.

تتضافر مجموعة من العوامل أو الأسباب في نشأة اللهجات وتكونها من أهمها:

1. العامل الجغرافي:

حينما تتسع البيئة الجغرافية للغة، وتفصل بين أجزائها الجبال أو الأنهار أو الصحاري أو غيرها. فيقل احتكاك أبناء اللغة الواحدة، ويقع الانعزال بينهم.

تتكون بذلك بيئات صغيرة متعددة ومتنوعة، بمعنى أنّ البيئة الجغرافية للغة تنقسم إلى بيئات جغرافية صغيرة، لكل منها خصائصها وملامحها الجغرافية.

---

[15] ابن منظور: لسان العرب مادة (لـــ)

[16] الفيومي: المصباح المنير،(كتاب الام)

[17] أنيس:ابراهيم اللهجات العربية، د. إبراهيم ، مكتبة الانجلو المصرية، شارع محمد فريد ،ط ابن دهية، ت ط 1947م،(ص 16).

[18] ابن سيدة: الضرير،(691)

[19] الجهتي: اللهجات، د. علام، عبدالعزيز أحمد علام، تأليف الأستاذ مساعد نورة صبيان، ط1،دار النشر ،مكتبة المنير المملكة العربية السعودية، الدمام، ت 1429هـــ، 2005م، (ص 1)

فبيئة الشمال تختلف عن بيئة الجنوب، وبيئة الشرق تختلف عن بيئة الغرب، وبيئة الأجزاء الساحلية تختلف عن البيئة الصحراوية، وبيئة الجبال تختلف عن بيئة الأودية، وبيئة الخصب والنماء تختلف عن بيئة التصحر والجفاف ، وهكذا يقوم الانعزال الجغرافي بين بيئة اللغة الواحدة، وهذا عندما يستمر مع مرّ الزمن ينعكس على اللغة الواحدة: صوتياً، وصرفياً، ونحوياً، ودلالياً[20]. وكما أنّ البيئة تؤثر في سكانها جسمياً وخُلقياً ونفسياً، كما هو الواقع فإنّها كذلك تؤثر في أعضاء النطق وطريقة الكلام.[21]

2. العامل الاجتماعي:

بينما العامل الجغرافي أعاق اتصالها ،فالانعزال الجغرافي أمر واقع ومشاهد في حياة كل لغة[22].

ويضاف إلى هذا انقسام الشعب الواحد إلى مجموعات نتيجة للظروف الاجتماعية، وذلك أنّ كل مجتمع يتكون من طبقات اجتماعية من الزُراع إلى التجار والصناع والقضاة والمدرسين والمعلمين، إلى من يشتغلون بحرفة الصيد، أو الرعي إلى رجال القوات المسلحة، إلى الحكام والأمراء ... إلخ[23].

كل فئة من هذه الفئات تمثل طبقة من طبقات المجتمع ، ويربط بين أبناء كل طبقة من الطبقات ظروف محددة ، وتتميز تلك بقيمة الطبقات فيقع ما يسمى بالانعزال الاجتماعي؛ وذلك الذي ينعكس على اللغة والكلام، فتنشأ بذلك صفات لغوية وخصائص صوتية مختلفة بالاختلاف في الطبقات[24].

وهكذا يتضح أثر العاملين الاجتماعي والجغرافي في تكوّن اللهجات ونشأتها، وخير مثال لتكوّن اللهجات نتيجة هذين العاملين، اللهجات العربية القديمة قد نشأت وتفرعت عن الفصحى، نتيجة

---

[20] العلام: عبد العزيز أحمد، المدخل إلى علمي القراءات واللهجات، الطبعة الأولى، 1326هـ- 2005م الناشر مكتبة المتنبي، (ص 148).

[21] جويح: رسالة ماجستير بعنوان، الأحرف السبعة عبد الله عبد الرازق سعيد، الأحرف السبعة في القراءات القرآنية وعلاقتها بالقرآن، عام 2000م (ص 57)

[22] هلال: اللهجات العربية نشأة وتطوراً، د. عبد الغفار، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثانية، 1993م.

[23] العلام: المدخل إلى علمي القراءات واللهجات،(ص 149 ــ 150)،

[24] ابن جني: الخصائص، (ج1، ص33.)

لوجود الانعزال الجغرافي بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها وشرقها وغربها، وأيضاً لوجود الانعزال الاجتماعي[25].

وقد أشار اللغويون من أسلافنا إلى هذين العاملين حينما أخذوا يرصدون بعض الظواهر اللغوية والصوتية التي تُفرق بين سكان البدو والحضر.

ومن أحدث الأمثلة على ذلك ما حدث للغة الإنجليزية في أمريكا الشمالية، فقد نشأت فوارق لغوية تميز إنجليزية أمريكا عن إنجليزية أوروبا، وصارت هذه لهجة وتلك لهجة أخرى[26].

اللغة العربية هي لغة جزيرة العرب، ولكن القبائل العربية المتعددة قد كان لكل قبيلة منها منزلتها من الفصاحة، ولها كيانها المستقل الذي يعزلها عن غيرها لما لها من عادات وتقاليد تنمو وتتطور، فأدى ذلك إلى نشأة اللهجات العربية التي تتميز كل منها بصفات خاصة[27] إلى جانب ذلك يعد الاتصال البشري أيضاً من العوامل التي ساعدت على نشأة وحدوث اللهجات العربية المتمثلة في اتصال بني البشر لتبادل المنافع، كما أنّ الإنسان قد يحتاج إلى الهجرة من وطنه الأصلي إلى مكان آخر بحثاً عن القوت، أو لأسباب أخرى دينية كالهجرة فراراً بالدين أو من الاستعمارية، وبدهي أنّ تلك الاتصالات تحتاج إلى معرفة أولئك، وهؤلاء بلغات الآخرين حتى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات أو إخضاع جماعة ما لسيطرتهم ، وهذا يؤدي بالطبع إلى احتكاك اللغات بعضها ببعض ونشوب صراع بينها، فالعرب لم يعيشوا في عزلة عن غيرهم، فالحياة الاجتماعية تحتاج إلى صلات وروابط بين الأفراد والجماعات والشعوب وقد تهيأت لهم وسائل هذا الاتصال عن طريق تبادل المنافع وعن طريق الغزو.

العلاقة بين اللغة واللهجة

فيما سبق تكلمنا عن نشأة اللهجات وأسباب حدوثها، وأوردنا أنّ اللهجات متأثرة بعوامل عدة ذكرناها، فلابد لنا من توضيح علاقة اللغة العربية بلهجاتها سواءً أكانت هذه اللهجات قديمة أو حديثة.

اللهجة عند المحدَثين: هي مجموعة من الخصائص اللغوية يتحدث بها عدد من الأفراد في بيئة جغرافية معينة، وتكون تلك الخصائص على مختلف المستويات: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وتميزها عن بقية اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة، ولكن يجب أن تبقى تلك الخصائص من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة عن أخواتها عسيرة الفهم على أبناء اللغة؛ لأنّه عندما تكثر هذه

---

[25] ابن سيدة: الضرير، (ج1، ص 691).

[26] الحجازي: محمود اللغة العربية عبر القرون،(ص4)

[27] الأحرف السبعة في القراءات القرآنية وعلاقتها بالقرآن، (ص 58.)

الصفات الخاصة على مرّ الزمن لا تلبث هذه اللهجات أن تستقل[28]، وتصبح لغة قائمة بذاتها، كما حدث للغة اللاتينية التي اندثرت وتفرعت عنها لغات لها كيانها وخصائصها مثل: الإيطالية والفرنسية والإسبانية. وكما حدث للغة السامية الأم التي استقلت عنها لغات كالعربية والعبرية والآرامية وغيرها[29].

فعلاقة اللغة باللهجة هي علاقة العام بالخاص؛ فاللغة عادة تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها ومع أن هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية، التي تؤلّف للغة مستقلة عن غيرها من اللغات[30].

واللهجة تتولد من اللغة وتتفرع منها، وإذا ما تهيأت أسباب للهجة أن تنمو وتكتمل وتفي بحاجات المجتمع الذي نعيش فيه، فإنّ العوامل اللغوية تحتم على الباحثين إلحاق اسم اللغة على تلك اللهجة[31].

فاللغة تشبه تلك الشجرة التي تتدلى فروعها إلى أسفل فتلامس التربة وترسل في الأرض جذوراً تصبح أشجار كبيرة فيما بعد، وقد تموت الشجرة الأم ولكن من فروعها تنشأ أشجار جديدة، وإذا قلنا إنّ اللغة تموت كما تموت الأشجار، فالمقصود بالموت التغير الكلي الذي يطرأ على المجتمع، والتحول الجذري في الحياة ، وفي الظروف المحيطة بالحياة ، إلى حد نستطيع فيه القول بأنّ لغة اليوم مغايرة للغة الأمس[32].

دور اللهجات العربية في زيادة الثروة اللغوية:

بما أنّ اللهجة تتولد من اللغة وتتفرع منها، وتحمل بعض صفاتها ،ومميزاتها. ولعل الذي نعنيه في هذه الدراسة التأثير الإيجابي لمساهمة اللهجات في زيادة مفردات اللغة العربية النامية، والمتجددة على مر العصور سواءً أكانت هذه اللهجات قديمة أو حديثة.

---

[28] شفيع الدين: اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى ،دراسة لغوية. د محمد شفيع الدين، ديسمبر 2007م، (ص 76).

[29] المصدر السابق ، (ص2)

[30] أنيس: ابراهيم، اللهجات العربية، د. إبراهيم محمد نجار ، مكتبة السعادة، الطبعة 1976م، (ص14.)

[31] المرجع السابق والصفحة

[32] المرجع السابق والصفحة

ولكن ما يهمنا في هذه الدراسة إلقاء قليل من الضوء على بعض لهجات القبائل العربية القديمة التي أسهمت مساهمة واضحةً في إثراء اللغة الفصحى وخدمتها[33]. وهي التي قرئ القرآن بلغاتها (لهجاتها).

فلا بد من أن تتأثر بها ، وتؤثر فيها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، سلباً أم إيجاباً. وقد يظهر بعض تأثر اللهجات العربية باللغة الأم في حمل بعض خصائصها، وصفاتها[34]. أما التأثير فيها فنلمحه من خلال عدة ظواهر سنتناولها إن شاء الله في هذا المحور.

ولعل من أُولى هذه الظواهر التي ساعدت على تطور اللغة وإثرائها كما يبدو لنا هي ظاهرة تداخل اللغات.

لقد عَرِفت اللغة العربية الدخيل، أي غريب الألفاظ قبل وبعد الإسلام. وعلينا ألاّ ننسى أمر الجوار، وما كان يتم من خلال تمازج وتلاقح فكري، عن طريق التبادل اللغوي بانتقال لغة قوم إلى من يجاورهم ، وهذا يؤدي بالتالي إلى تداخل اللغات ، وربما كان ينشأ من لغتين متجاورتين لغة ثالثة[35].

وقد يؤدي هذا التلاقح الثقافي إلى التنافس في الفصاحة وإحكام الكلام، وإلى التفاخر بأساليب البيان وفنون القول، وهذا ما حصل فيما بعد خلال التقاء القبائل في أسواق عربية معروفة ظاهرها فيه التجارة وباطنها فيه التفاخر بأساليب القول والفصاحة والبيان شعراً ونثراً[36].

لقد كان لقبيلة قريش دور عظيم في تاريخ التطور اللغوي على مرّ العصور، فقد استقطبت قبائل العرب إلى واديها، يحجون إلى بيتها العتيق كل عام، واستجلبت تُجار الجزيرة في مواسم التبادل التجاري، واستقبلت البلغاء والفصحاء والخطباء والشعراء من كل صقع ناءٍ أو قريب، ليصبوا خلاصة فكرهم، وعصارة ثقافاتهم في وادٍ كان منذ عهد إبراهيم عليه السلام(غير ذي زرع)، فإذا بالوادي الجديب يخصب ، ويهتز خضرةً، ويجلب إليهم الثمرات من كل مكان[37].

---

[33] حمدان: المعجم الفصيح في اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية، محمد أديب عبد الواحد حمدان، مكتب عبيكان الرياض، العليا، تقاطع شارع يق الملك فهد مع العدوية، ط 1 6، ت ط 2000م

[34] المصدر السابق والصفحة.

[35] المرجع السابق، (ص1)

[36] المرجع نفسه، (ص 2)

[37] جمران: المعجم الفصيح في اللهجات العربية (ص21)

ولقد استجاب الله تعالى لدعوة إبراهيم عليه السلام، حين دعا ربه : ﴿ ربي إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾[38].

ولعل الظاهرة الثانية التي ساعدت اللهجات على إثراء اللغة وزيادة مفرداتها هي القراءات القرآنية المختلفة اللهجات والأحاديث النبوية الشريفة.

لم تكن اللهجات القديمة للقبائل العربية قبل الإسلام عاملاً من العوامل المهمة في زيادة مفردات اللغة الأم، فقبل الإسلام استمسكت كل قبيلة بصفاتها الكلامية في حديثها العادي وفي لهجات التخاطب، ولكن الخاصة من الناس في تلك القبائل قد لجأوا إلى تلك اللغة النموذجية التي نشأت في مكة، في شؤونهم الجدية يخطبون بها وينمون الشعر، وينفرون من صفات اللهجات في مثل هذا المجال[39]. حتى إذا عادوا إلى بيئتهم تحدثوا إلى الناس في الشؤون العامة بمثل لهجتهم، لئلا تتغير منهم النفوس، وإنّما مثلهم في هذا مثل بعض الأعيان من أهل الريف المصري حيث يفدون إلى القاهرة، ويخاطبون المثقفين فيها فلا نكاد تلحظ في كلامهم صفات خاصة تنبئ عن بيئتهم الريفية. فإذا عمدوا إلى مقرهم الأصلي سمعتهم يخاطبون الناس بلهجاتهم كأن لم يبرحوا عن تلك البيئات يوماً واحداً[40] وأولئك الخاصة من أعيان الريف يجعلون لكل مجال ما يناسبه من القول، فهم بين المثقفين من القاهريين مثلهم، وهم بين أهليهم من البيئة الريفية أيضاً. تلك الحال التي كانت شائعة بين الخاصة من رؤساء القبائل ، يرونه عيباً أن يخطبوا في أسواق لك: سوق عكاظ بتلك اللهجة الخاصة بهم، كما يرونه عيباً أن يتحدثوا إلى قبائلهم بغير تلك اللهجات[41].

هذه حال كانت مألوفة بين القبائل، متواضَعاً عليها، ولهذا لم ترد لنا روايات جاهلية عن السخرية بصفات كلامية لقبيلة من القبائل أو القدح فيها، فلما جاء الإسلام، وأراد أن تتألف قلوب العامة والخاصة معاً، سمح بأن يُقرأ القرآن الكريم ببعض تلك الصفات التي لم يكن في مقدور العامة غيرها[42].

---

[38] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[39] أنيس: إبراهيم اللهجات العربية، (ص 41).

[40] المرجع نفسه (ص41)

[41] المرجع السابق، (ص41).

[42] أنيس: اللهجات العربية، (ص 41)

فالقرآن الكريم وإن نزل بلهجة موحدة، ولغة أدبية موحدة، أُبيح في قراءته الخروج عن تلك اللغة الموحدة، تيسيراً على عامة العرب، وتأليفاً لقلوبهم، وهذا معنى الحديث الشريف (أُنزل القرآن على سبعة أحرف) إلى ما اشتملت عليه القراءات القرآنية من صفات اللهجات العربية القديمة[43].

والقراءات القرآنية صحيحها وشاذها مصدر أساس لدراسة اللهجات؛ لأنّها تكشف الواقع اللغوي الذي كان سائداً في الجزيرة العربية عند نزول القرآن الكريم. فقد كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، يعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج، ولاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً، كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم حيث أتاه جبريل فقال له: أن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال صلى الله عليه وسلم: أسأل الله معافاته ومعونته إنّ أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف. فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم، لكان ذلك من التكليف بما لا يستطاع[44].

وقال ابن قتيبة: (فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه أن يقرئ كل أمة بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم، فالهذيلي يقرأ: {عتى حين) والأسدي يقرا (تعلمون)، والتميمي يهمز ، والقرشي لا يهمز.[45]

مما سبق نستنتج أنّ الاختلاف في القراءات ما هو إلا من باب الرحمة والتوسعة على المسلمين، وأن كلمات القرآن الكريم كانت تقرأ بلهجات متعددة . وبطرق مختلفة من ناحية الأصوات أو الصيغ أو التراكيب اللغوية أو الدلالية في ضوء ما جاءت به القراءات وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[46].

الواقع أنّ اللهجات، في أية لغة لا يفصل بينها وبين اللغة المشتركة سوى بعض الصفات الصوتية، واللهجة في المصطلح الحديث كما أسلفنا هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضع عدة لهجات لكن منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور من حديث، فهماً يتوقف على

---

[43] المرجع السابق، (ص 41)

[44] العلام: المدخل إلى علمي القراءات واللهجات،(ص 176).

[45] مرجع سابق، (ص 176)

[46] مرجع سابق الصفحة (ص 177).

قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها (باللغة أو اللسان) [47].

علاقة القراءة باللهجة:-

ولقد سبق أن ذكرنا في بداية هذا المحور من الدراسة الذي سميناه "دور اللهجات في زيادة الثروة اللغوية" أن من أكبر الظواهر التي جعلت للهجات القديمة أثراً كبيراً في إثراء العربية هي ظاهرة القراءات القرآنية السبعة التي جاء بها القرآن الكريم، ولعل خير شاهد على ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي في معناه أنزل هذا القرآن على سبعة أحرف ، لقد خضع هذا الحديث لعدة تفاسير لكلمة سبع أحرف ولعل أرجحها المقصود بالسبعة أحرف سبع لغات من قبائل العرب والراجح أيضاً أنّهم أرادوا أفصحها.

ولعل هذه القراءات تختلف بعضها عن بعض اختلافاً صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً وسنأخذ في هذا المبحث نماذج من لهجات قبلية من بعض هذه الاختلافات في القراءات السبع التي تبين من خلالها كيف كان لهذه اللهجات أي اللغات دور كبير في زيادة مفردات اللغة العربية سواءً أكان هذا الدور مباشراً كما أسلفنا، أم غير مباشر.

القراءات لغة:

القراءات جمع قراءة، والقراءة مصدر سماعي ل: قرأ، تقول: قرأ يقرأ قراءة، وقرآنا، وقرءاً، والقرء في اللغة الجمع والضم، تقول قرأت الماء في الحوض: إذا جمعته، وسميت القراءة قراءة لأنّ القارئ يجمع الحرف مع الحرف فتكون الكلمة، والكلمة مع الكلمة فتكون جملة، والجملة مع الجملة. فهو يقرأ يعني يجمع ذلك كله.[48]

القراءات اصطلاحاً:

يخلط كثير من الباحثين بين تعريف القراءات وتعريف علم القراءات، والفرق بين القراءات وعلم القراءات كالفرق بين القرآن الكريم وعلوم القرآن الكريم.

---

[47] شاهين: علم اللغة العام، شاهين ، عبد الصبور ، ط السادسة، دار النشر مؤسسة الرسالة ، ت ط 1413هـ ـ 1993م،(ص 225)

[48] الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم (ج1ص 314)

فالقراءة: هي مذهب من مذاهب النطق بالقرآن الكريم؛ يذهب إليه إمام من الأئمة مذهباً يخالف غيره مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها.

ومذهب النطق بالكلمة القرآنية له مسميات هي:

قراءة، رواية، طريق، وجه.

فالقراءة: ما نسب إلى أحد أئمة القراءات إذا اتفقت الروايات والطرق عنه.

والرواية: ما نسب إلى الأخذ عن هذا الإمام ولو بواسطة.

والطريق: ما نسب إلى الآخذ عن الراوي ولو نزل.

والوجه: ما نسب إلى تخير القارئ من قراءة يثبت عليها وتؤخذ عنه.

قال السيوطي: "الخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الروايات والطرق عنه، فهو قراءة، وإن كان للراوي عنه، فرواية، أو لمن بعده فنازلًا فطريق، أو لأعلى هذه الصفة مما هو راجع إلى تخير القارئ فيه، فوجه"[49]

ثمرته وفائدته:

العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، وصيانتها عن التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل إمام من الأئمة القراء، والتمييز بين ما يقرأ به، وما لا يقرأ به.

مكانته:

علم القراءات من أجَل العلوم قدرًا، وأعلاها منزلة، لاتصاله بأشرف الكتب السماوية وأفضلها على الإطلاق، وهو القرآن الكريم، وشرف العلم من شرف المعلوم.[50]

ولما كانت القراءات ترتبط ارتباط وثيقاً بلهجات القبائل العربية، وتترك فيها أثراً بالغاً في تغذية اللغة بالمفردات والمعاني؛ الأمر الذي يحتم علينا في هذا المجال أن نبين علاقة القراءة باللهجة.

بدا الاختلاف اللهجي بين القبائل العربية واضحاً قبل الإسلام في لغات العرب المحلية التي تتحدثها كل جماعة لغوية في بيئات العرب المختلفة. التي كانت تفصل بينها عوامل طبيعية وغير طبيعية، ثم بدأ بعد نزول القرآن وكان ذلك في اختلاف القراءات، وقد تحدث كثير من علماء العربية

[49] المرجع السابق (ج1ص 315)

[50] المرجع السابق(ج1ص316)

عن الاختلاف اللهجي إذ قال ابن جني (اللغات على اختلافها حجة) [51] وحديث ابن جني يشير إلى الاختلاف اللهجي بين القبائل العربية.

وكما كان للهجات العربية أثر واضح في ثراء اللغة كان لها أيضاً من حيث المستوى الصوتي الدلالي واللغوي دور بارز في ذلك وكان لها أيضاً دورٌ مهمٌ من جانب المستوى النحوي والصرفي ولعل أظهر ما يكون ذلك بعد مجيء الإسلام حيث نزل القرآن بقراءاته المختلفة وفق اختلاف لهجات العرب ولغاتهم، ولأنّ النحو وقسيمه الصرفي يشكلان ضلعي المثلث في كلام العرب سنفرد في هذا الموضع مساحة لإظهار الأثر النحوي والصرفي للهجات العربية ومسايرتها الشق اللغوي في مرحلة التكوين العام للدرس اللغوي.

الدور النحوي والصرفي في زيادة الثروة اللغوية:-

ولعل من أوجه ذلك أن روى النحاة في المطولات من كتبهم عدة مسائل اختلف فيها الرأي بينهم وقد نسبوا هذا الخلاف الإعرابي إلى قبائل معينة على أنها لهجاتهم وما تستطيعه ألسنتهم سنذكر بعضاً منها:

1. الحجازيون ينصبون خبر (ليس) مطلقاً دون شروط فيقولون: ليس الطيب إلا المسكَ، وتقول تميم ليس الطيب إلا المسكُ برفع الخبر
2. وينصب الحجازيون الخبر بعد (ما) النافية . فيقولون: ما هذا بشراً ؛ وذلك لأنّ (ما) النافية عندهم بمنزلة(ليس) أما التميميون فيرفعونه إذ يقولون : ما هذا بشرٌ.
3. وأما بنو أسد فيصرفون مالا ينصرف، إذا كانت علة منعه الوصفية وزيادة الألف والنون، فيقولون: لست بسكرانٍ ، ويلحقون مؤنثه التاء، فيقولون : هي سكرانة.
4. والهُذليون: يعربون (الذين) من أسماء الموصول، إعراب جمع المذكر السالم، فيقولون: الذون في حالة الرفع، والذين في حالتي النصب والجر، والشاهد على ذلك قول شاعرهم:

نحن الذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاما[52]

5. وكذلك الهذليون يستعملون(متى) بمعنى (مِنْ)، ويعدونها حينئذ حرف جر، فيقولون، أخرجها متى كمه، يريدون من كمه.

---

[51] سيبويه ابن جني، الخصائص ، (ج 2 ، ص 111)

[52] النعماني: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان،(ج1ص 210)

6. وأما بنو تميم فينصبون تمييز(كَم) الخبرية مفرداً، وغيرهم يوجبون جره ويجيزون إفراده وجمعه، فيقال: كم درهم عندك، وكم عبيد ملكت وتميم يقولون: كم درهماً، وكم عبداً، وهكذا بالنصب، والذي يلاحظ أنّ التميميين قد خلطوا في هذه المسألة بين الجملة الخبرية التي تتصدرها (كم) الخبرية، والجملة الاستفهامية الإنشائية التي تتصدرها (كم) الاستفهامية.[53]
7. وقبيلة بكر بن وائل وبعض من بني تميم يُسَكِنون الحرف الأوسط المتحرك من الثلاثي من الأسماء والأفعال استخفافاً فيقولون في مثل: فخذ، ورجل، علم، كرم، فخد، رجل ،علم، كرم، ويتعدى هذا التسكين الثلاثي إذ نجده في الرباعي والخماسي والسداسي عندهم فيقولون: منتفخ، وانطلق، والأصل، منتفخ، وانطلق. على الرغم من أنّه لا يلاحظ أثر التخفيف في المسألة، بقدر ما يلاحظ القوة في صوت الكلمة، وربما الذي دفعهم إلى ذلك طبيعة حياة الصحراء التي كانوا يعيشونها قياساً بحياة المدن.
8. وبنو طيء يقولون في الذي: ذو، وفي التي: ذات ، في جميع حالات الإعراب وبلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع في المذكر والمؤنث.
9. بنو تميم يكسرون أول فعيل، وفعل إذا كان ثانيهما حرفاً من حروف الحلق ، فيقولون في رغيف، وشعير ، رغيف وشعير، (بكسر الأول) ويقولون هذا رجل لعب، ووعل.
10. بنو الحارث وكنانة: يقلبون الياء المسبوقة بفتحة ألفاً، فيقولون في إليك، ولديك، وعليك: إلاك ، ولداك، وعلاك، ويعربون المثنى بالألف في كل الحالات (رفعاً ونصباً وجراً)، فيقولون: جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان وعلى هذه اللهجة خرج قوله تعالى: {إن هذان لساحران} (سورة طه 63) ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا وتران في ليلة) وجاء عليها قول الشاعر:

تزود منا بين أدناه طعنة دعته إلى هابي التراب عقيم

الشاعر هوبر الحارثي من بني حارث بن كعب في ديوانه.

والذي يلاحظ: أنّه من حق: هذان، ووتران، وأذناه، لو جرين على اللغة السائدة أن تكون بالياء.

11. ذكر الجوهري أنّ العرب تتفق جميعها على قلب الألف ياء من لدى، وعلى، وإلى، عند اتصالها بالضمير فتقول: لديك ، عليك وإليك، ما عدا بني الحارث بن كعب وكنانة فإنّهم يقولون: (لداك، وعلاك وإلاك) فيتركون الألف على حالها عند الاتصال[54]

وشواهد قلب الألف ياء عند اتصالها بالضمير كثيرة في كلام العرب، أذكر منها ما جاء على لغة هذيل مثلاً قول شاعرهم أبو ذؤيب الهذلي:

---

[53] أنيس: إبراهيم اللهجات العربية (ص74)

[54] (المصباح المنير مادة علا).

سبقوا هوي واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع[55]

ومن ذلك قول المتنخل اليشكري:

يطوف بي كعبد في معد ويطعن بالضملة في قفيا[56]

وبالنظر إلى تخريجات النحاة لقلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم في لغة هذيل، يقول ابن جني: (قال لي أبو علي: وجب قلب هذه الألف، لوقوع ياء ضمير المتكلم بعدها، إنّه موضع ينكسر فيه الصحيح، نحو هذا غلامي... فلما لم يتمكنوا من كسر الألف قلبوها ياء، فقالوا: هذه عصيي، وهذا فتي: أي عصاي، وفتاي وشبهوا ذلك بقولك: مررت بالزيدين، أي قلب ألف المثنى ياء حال الجر، ولما لم يتمكنوا من كسر الألف للجر قلبوها ياء[57].

وقال ابن عبد البر: إنّ هذيلاً أجازت في ألف المقصور قلبها ياء عوضاً عن كسرة الألف التي يستحقها ما قبل الياء، وإلى ذلك أشار ابن مالك في النظم بقوله: وعن هذيل انقلابها يا حَسن.[58]

ومن المسائل النحوية التي قامت على خلفية اختلاف اللهجات العربية الخلاف حول (ما) العاملة عمل (ليس)، فالحجازيون يجيزون عملها كعمل ليس، نسبة لتشبهها بها في نفي الحال عند الإطلاق، يرفعون بها الاسم وينصبون بها الخبر نحو: (ما زيد قائماً، ومن ذلك قوله تعالى { ما هذا بشراً} وقوله: { ما هن أمهاتهم} ويشترطون لعملها شروطاً ستة:

الأول: ألا يزاد بعدها (إن) نحو: ما إن زيد قائم ، برفع قائم.

الثاني: ألا ينتقض النفي ب إلاّ، نحو: ما زيد إلّا قائم، فلا يجوز نصب (قائم) واستدلوا لذلك بقوله: (ما أنتم إلاّ بشر مثلنا) وقوله {وما أنا إلا نذير).

الثالث: ألا يتقدم خبرها على اسمها وهو غير ظرف ولا جار ومجرور، فإن تقدم وجب رفعه، نحو: (ما قائم زيد) فلا تقول: (ما قائماً زيد).

الرابع: تقدم مفعولها بطل عملها نحو: (ما طعامك زيد آكل) فلا يجوز نصب (آكل).

---

[55] المصباح المنير، (ص 122)

[56] ابن جني: الخصائص،(ج15،ص176)

[57] ابن جني: أبو الفتح عثمان الموصلي المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها الطبعة: 1420هـ - 1999م، ط 1420هـ الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (ج1،ص 76)،

[58] الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف،(ج2،ص 76)

الخامس: ألا تتكرر (ما) فإن تكررت بطل عملها نحو: (ما ما زيد قائم). فالأولى نافية والثانية نفي النفي، فبقي إثباتاً، فلا يجوز نصب (قائم).

السادس: ألا يبدل من خبرها موجب، فإن أبدل بطل عملها، نحو: (ما زيد بشيء، إلا شيء لا يعبأ به) فبشيء: في موضع رفع خبر عن المبتدأ الذي هو (زيد). ولا يجوز أن يكون في موضع نصب خبراً عن (ما) أما التميميون فلا يجيزون عمل (ما) في لغتهم فيقولون: (ما زيد قائم) فزيد . عندهم . مرفوع بالابتداء، وقائم خبره ولا عمل لـ(ما) في شيء منها، وحجتهم في ذلك أنّ (ما) حرف لا يختص؛ لدخوله على الاسم نحو: ما زيد قائم، وعلى الفعل، نحو: ما يقوم زيد، وما لا يختص فحقه ألا يعمل، وكذلك من اختلاف اللهجات: اختلاف الحجازيين والتميميين حول عمل (لا) العاملة عمل ليس، فالتميميون لا يُعملونها في كلامهم، أما الحجازيون فيعملونها بثلاثة شروط[59]:

الأول: أن يكون الاسم والخبر نكرتين، نحو: لا رجل أفضل منك.

الثاني: ألا يتقدم الخبر على الاسم فلا تقول: لا قائماً رجل.

والثالث: ألا ينتقض النفي بإلاّ، لا تقل: لا رجل إلا أفضل من زيد، بنصب أفضل، بل يجب رفعه.

أما من جهة الصرف لابد لنا من الإشارة إلى بعض النماذج التي تؤكد ما ذهبنا إليه من أنّ اللهجات العربية كان لها أثر لا ينكر من جانب المستوى الصرفي في نماء وثراء اللغة ولعلنا نعني بذلك تلك اللهجات العربية التي عاصرت الإسلام وقُرئ القرآن بلسانها، فالقراءات القرآنية هي الظاهرة الكبرى التي مكنت للهجات القبائل العربية وجعلت لها دورا مهما في ذلك، ومن هذه الأمثلة أو الشواهد:

قد أورد ابن فارس في كتابه (الصاحبي) في فقه اللغة ملخصاً لأوجه الاختلاف في لغات العرب:

1. الاختلاف في الحركات نحو (نستعين ، نستعين) بفتح النون وكسرها، وقال القراء (فهي مفتوحة في لغة قريش وأسد وغيرها بكسرها) [60].
2. الاختلاف في الحركة والسكون نحو معكم ، ومعكم).[61]
3. الاختلاف في إبدال الحروف نحو (أولك، و أولايك) أن زيداً ، عن زيداً) [62].
4. الاختلاف في الهمز في التلين أي التسهيل نحو: مستهزئون، ومستهزئون) [63].

---

[59] ارتشاف الضرب،ج3،ص ش175، شرح ابن عقيل على الألفية، (ص 156).

[60] أحمد بن زكريا بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب ، ت مصطفى السوعي، ط ت بيروت 1946م، (ص 111)

[61] المرجع السابق، (ص 111)

[62] المرجع نسه، والصفحة.

5. الاختلاف في التقديم والتأخر نحو (صاعقة ، صاقعة) [64].
6. الاختلاف في الحذف والإثبات نحو (استحيين، استحين) (صددت، صديت).
7. الاختلاف في الحرف الصحيح ببدل حرفاً مشكلاً نحو (ما زيد، أيما زيد).
8. الاختلاف في الإمالة والتفخيم مثل (تقي ورمى). بعضهم يفخم وبعضهم يميل [65].
9. الاختلاف في الحرف الساكن يستقبل مثله، فمنهم من يكسر الأول، ومنهم من يضم مثل (اشتروا الضلالة).
10. الاختلاف في التذكير والتأنيث، فإن من العرب من يقول هذا البقر، وهذا النخل، ومنهم من يقول هذه البقر، وهذه النخل). [66]
11. الاختلاف في الإدغام نحو (مهتدون ومهدون).
12. الاختلاف في الإعراب نحو: (ما زيد قائماً وما زيد قائم)، و(وإن هذين وإن هذان).
13. الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو (يأمركم ويامركم).
14. الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث قول هذه أمة، وهذه أمت)، الاختلاف في الزيادة (انظر وانظور).

الاختلاف في التضاد، وذلك كقول حمير للقائم ثب أي أقعد، وهذه بعض ظواهر الاختلاف اللهجي التي أوردها ابن فارس في لغات العرب. ونرى أنّ أكثر ما يظهر فيها الاختلاف الصوتي [67].

ومنها: الاختلاف فِي الحرف الساكن يستقبله مثله، فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم، فيقولون: "اشتَرَوُا الضلالة" و"اشترَوِ الضلالة".

وذهب بعض أهل العلم إِلَى أنّ الإعراب يقتضي أن يقال: "إن هذان" قال: وذلك أن "هَذَا" اسم منهوك، ونُهْكهُ أنّه عَلَى حرفين أحدهما حرف علة وهو الألف، و"ها" كلمة تنبيه ليست من الاسم فِي شيء، فلما ثُنّي احتاج إِلَى ألف التثنية، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية، واحتاج إِلَى حذف

---

[63] سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت، ط 1385هـ ت 1966م، (ص 11).

[64] المرجع السابق والصفحة

[65] ابن منظور: لسان العرب.

[66] المرجع السابق، (ص 112)

[67] المرجع نفسه (،ص 114)

إحداهما فقالوا: إن حذَفنا الألف الأصلية بقي الاسم عَلَى حرف واحد، وإن أسقطنا أَلِفَ التثنية كَانَ فِي النون منها عوض ودلالة عَلَى معنى التثنية، فحذفوا ألف التثنية.

فلما كَانَتْ الألف الباقية هي ألف الاسم، واحتاجوا إِلَى إعراب التثنية لَمْ يغيروا الألف عن صورتها لأنّ الإعراب واختلافه فِي التثنية والجمع إنّما يقع عَلَى الحرف الَّذِي هو علامة التثنية والجمع، فتركوها عَلَى حالها فِي النصب والخفض.

قيل: ومما يدلّ عَلَى هَذَا المذهب قوله جلّ ثناؤه: {فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ} لَمْ تحذف النون - وَقَدْ أضيف- لأنّه لو حذفت النون لذهب معنى التثنية[68]

هذه هي بضع أمثلة مما روى النحاة في كتبهم ، فنسبوه إلى اختلاف اللهجات العربية، والحق أنّ هذا النوع من اختلاف الإعراب لا يمت للهجات العربية بصلة ، وإنّما هو من صناعة النحاة، حين اشتد الجدل بينهم، وحاول كل فريق أن يأتي بجديد في تلك القواعد الإعرابية التي ملكت عليهم مشاعرهم وصرفتهم عن كثير من البحوث القيمة في اللغة ، فلم تكن لهجات الكلام عن القبائل تلتزم الإعراب على الصورة التي رويت لنا في كتب النحاة ، وإنّما التزم الإعراب على الصورة في اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم ونظم بها الشعر، وقد كان الإعراب من الظواهر اللغوية التي عنى بها الخاصة من العرب في خطبهم وشعرهم وعُد بينهم مما يفخر به الأديب ويمهر في مراعاته، أما في لهجاتهم ولغة التخاطب بينهم فلا نكاد نعلم شيئاً عن قواعد إعرابهم.[69]

الخاتمة:

لعل ما أورده ابن فارس وإبراهيم أنيس وغيرهما من اللغويين في هذا الملخص يعطينا ملمحاً سريعاً لاختلاف لهجات العرب ونلحظ أيضاً أنها ما جاءا به يعد نماذج مختصرة من القراءات السبع التي قرئ بها القرآن الكريم، وهذا كله بالطبع يشير بل يؤكد على أن اللهجات العربية أو لهجات القبائل العربية التي عاصرت الإسلام كان لها دوراً مهماً في ثراء اللغة العربية وزيادة مفرداتها ومعانيها.

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

1. إنّ مصطلح اللغة واللهجة واللسان جميعها تصب في معنى واحد.
2. إنّ كلمة لهجة لم تكن معروفة عند الأقدمين وإنّما هي مصطلح حديث.
3. اللهجات عبارة عن تغيير صوتي أو صرفي أو نحوي أو دلالي يطرأ على اللغة.
4. إنّ هناك لهجات قديمة اندثرت ولم نر لها ملامح واضحة في كتب العرب القديمة: لأنّها كانت محلية ومحل سخرية . أما اللهجات التي أسهمت بشكل واضح في ثراء اللغة وغناها هي لهجات

[68] بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية (ج1ص 26)

[69] أنيس: اللهجات العربية(ص75)

القبائل التي قرئ القرآن بلغتها أي بلسانها وهي سبع لغات حسب ترتيبها في الفصاحة. وهناك لهجات حديثة محلية كثيرة مواكبة لم تتناولها هذه الدراسة ظناً منا بأنها لم تخدم اللغة العربية الفصيحة كثيراً.

5. إنّ هناك ثمة فرق واضح بين قراءات القرآنية وعلم القراءات.

توصي الدراسة بزيادة الأبحاث في علوم اللغة العربية بمختلف فروعها لكشف أسرارها.

كما توصي أيضاً بإلقاء مزيدٍ من الضوء على علم اللهجات العربية وكشف الجوانب الأخرى التي خدمت بها اللغة العربية وأغفلتها هذه الدراسة.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الأزدي: جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ا ،تحقيق : رمزي منير بعلبكي، الناشر، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 19877
3. الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، من أكابر أئمة اللغة، من مصنفاته تهيب اللغة، مات بهراة سنة 370هـ، نزهة الألباء، (ص 323)
4. أنيس: اللهجات العربية، إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، شارع محمد فريد، 1947م
5. ابن فارس: أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الطبعة: الطبعة الأولى 1418هـ-1997م الناشر: محمد علي بيضون.
6. ابن السكيت، الإبدال، هدية العرافين ،ج1، 633 الإبدال، لأبي يوسف يعقوب تقديم وتحقيق د. حسن محمد شرف، مراجعة الأستاذ علي الجدي ناصف. القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1978م
7. ابن منظور محمد بن مكرم، جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، مادة ل غ و ، دار صادر بيروت، دون تأريخ.
8. الفيومي أحمد بن محمد، المصباح المنير، ل غ و، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف مصر، جزآن دون تأريخ.
9. ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت، ط
10. ابن جني: أبو الفتح عثمان الموصلي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها الطبعة: 1420هـ- 1999م، ط 1420هـ الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
11. ابن سيده هو أبو الحسن علي بن إسماعيل، الضرير الأندلسي اللغوي، المتوفى سنة 458 هـ من مصنفاته المحكم والمخصص، هدية العرافين،
12. شاهين: علم اللغة العام، شاهين، عبد الصبور، ط السادسة، دار النشر مؤسسة الرسالة، ت ط 1413هـ. 1993م،
13. الجبي: اللهجات، د. علام، عبدالعزيز أحمد علام، تأليف الأستاذ مساعد نورة صبيان، ط1،دار النشر، مكتبة المنير المملكة العربية السعودية، الدمام، ت 1429هـ، 2005م
14. جويح: رسالة ماجستير بعنوان، الأحرف السبعة عبد الله عبد الرازق سعيد، الأحرف السبعة في القراءات القرآنية وعلاقتها بالقرآن، 2000م

15. الحجازي محمود، اللغة العربية عبر القرون، مطابع دار الكاتب العربي سنة 1968م، ص ع، في ورقة .
16. الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف،
17. سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت، ط 1385هـ ت 1966م،
18. الصاحبي: أحمد بن زكريا بن فارس، في فقه اللغة وسنن العرب، ت مصطفى السوعي، ط ت بيروت 1946م
19. العلام: عبد العزيز أحمد، المدخل إلى علمي القراءات واللهجات، الطبعة الأولى، 1326هـ- 2005م الناشر مكتبة المتنبي،
20. محمد: متقى يوشع رسالة ماجستير بعنوان: القبائل الحجازية والنجدية، ابريل 2017م في ورقة.
21. محمد شفيع الدين اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى، دراسة لغوية، ديسمبر 2007م،
22. النعماني: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
23. هلال: عبد الغفار اللهجات العربية نشأة وتطوراً، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثانية، 1993م.
24. ارتشاف الضرب،ج3،ص ش175، شرح ابن عقيل على الألفية.